THE LIBRARIES

COLUMBIA UNIVERSITY

GENERAL LIBRARY

الرؤية الشعرية

عند يوسف عزالدين

صاحب كمر

تقديم الدكتور داود سلوم

صاحب كمر

المكتبة المركزية

الرؤية الشعرية عند يوسف عزالدين

مطبعة الشعب ـ بغداد

رقم الايداع فى المكتبة الوطنية ٣٣٦
لسنة ١٩٧١

PJ
7838
.Z9
Z74

NGF S-12-75
Exch.

تقـــديم

في العـــراق كانـــت مدرســـة الـــرصافي والزهـــاوي مـــوءذنـــة بظهـــور الادب الحـديـــث وهمـــا فـــي بـدايـــة اليقظـــة الفكريـــة والاصطـدام الحضـــارى مـــع الغـــرب تقـــوم علـــى التعبـــير باللغة القديمة المتخففة قليلا من اساليب الماضى عن مظاهر الحياة الحديثة والاكتشافات التى بدأت تظهر فى اواخر القرن التاسع عشر والعشرين فالقطار والساعة والسيارة وكرة القدم والطيارة كلها ظواهر ومشاهد جديدة استرعت انتباه الشاعر كموضوع جديد ، وليس كتجربة انفعالية.

فالشاعر الحديث فى مدرسة الزهاوى والرصافي بقي يصف ما هو خارج عنه دون انفعال اصيل او عميق فالمدح تحول الى الاعجاب بزعماء السياسة وكبار المفكرين والادباء والهجاء تحول الى اعداء الامة والاستعمار ، والوصف كما قلنا تحول موضوعه من البعير الى السيارة او القطـــار

وهكذا ما زال الشاعر اذن فى هـذه الفترة شاعرا قديما استبدل العمامة بالسدارة والوقوف على الطلل بالوقوف على ملعب كرة القدم او بناء مدرسة ! فالجديد ليس بجديد حقا واخذت هذه المدرسة ايضا الافكار التى استحدثها الغرب وابتدعها فى السياسة والاقتصاد والعلوم والفلسفة وحاول رجال المدرسة نقل هذه الافكار كما هي بعد ان اظهروا حماسة لتبنيها لا لانها صالحة كل الصلاحية لعصرنا بل لانها حديثة منتسبة لاوربا نشرت عنها المجلات بحوثا وقرأ فيها الشعراء كتبا مترجمة .

ولهذا فقد وقع الشاعر فى مأزق نفسى فى هذه المدرسة فهو ابدا يوازن بين الواقع اليومى وبين الواقع النظرى الذى حصل عيه من المجلات والكتب ـ فعكس ادب مدرسة الزهاوي والرصافي شعورا حزينا متألما ظنا منهم ان على المجتمع ان يقفز الى الامام قفزا مستجيبا لافكارهم ودعواتهم دون النظر الى واقع التطور اليومى فى الكيان الاجتماعي وانتهت هذه المدرسة بموت الزهاوي والرصافي وغالبية تلامذة المدرسة الكبار كالشبيبي والبناء أو بانحسار هذه المدرسة الى التكايا والمدارس الدينية والمناسبات او الصمت بسبب السن وتبدل الايام .

وظهرت المدرسة الحديثة فعلا ، التى عانى فيها الشعراء الحياة الحديثة ثقافة ومعيشة ودراسة وشعرا واطلاعا .

وهذه المدرسة تضم كافة التيارات المختلفة فى شعرنا المعاصر من حيث العقيدة او المعالجة فى الموضوع أو التطور فى الشكل .

ونحن لا نريد ان نتكلم عن الفروق الكبرى بين تفريعات مدارس الشباب الحديثة وانما يهمنا في الواقع معرفة الموضوعات المشتركة والخصائص المجتمعة .

شارك اغلب شعراء هذه المدرسة الحديثة الثانية فى التجديد بالشكل ويختلف الشعراء من شاعر الى آخر في مقدار هذا التجديد فمنهم من هجر القافية الموحدة ومنهم من هجر البحر الواحد ومنهم من خرج على عدد تفعيلات البحر الواحد ومنهم من سقط فى النثر وكتب نثرا مركزا تغلب عليه الصور البلاغية . غلب على شعراء الفترة من حيث الموضوع ثلاثة اتجاهات الجانب الذاتى الرومنتيكى والجانب الاجتماعى التصويرى والجانب السياسى القومى او الديمقراطى واختلف الشعراء ايضا فى تغليب اتجاه على اتجاه الى موضوع معين اكثر من

الاتجاه الى موضوع آخر من خلال هذين الطريقين — الشكل والموضوع وطبيعة المعالجة في الشكل او المضمون — يمكن ان تحدد خصائص كل شاعر على حدة بمقدار اثره الشخصى وقوة شخصيته وتكامله او بمقدار اعتماده على الآخرين وخضوعه لاثرهم عليه .

وبذلك يمكن ان احدد خصائص شعر يوسف عزالدين بسهولة ويسر بالنظر الى الشكل ، فهو تقليدى فى بحوره فى الغالب ، مجدد في قوافيه . لغته انيقة ، فيها ظل المعنى القديم وجزالة التركيب اللغوى المتماسك .

مضامينه تتراوح بين الشعر الذاتى والشعر السياسى وغلب فى شعره الذاتى الغزل على التأمل العميق او الفلسفة الحزينة او المتفائلة فالشاعر ، شاعر حب حسى مادى ، انفك من قمقمه الضيق فى المجتمع المحافظ الى رحاب مفتوحة واسعة فى القاهرة والاسكندرية ولندن والمدن الاخرى فى الشرق والغرب ، يصطاد بشباكه وخلال مهارته الخاصة به ما يستطيع من اللقاء من ساعات من النشوة واللذة المحرقة ولا تبغى منها غير لوعةعشق فرتر أو اشواق رفائيل . فتركت النسوة اثرهن فى شعره .

اما الشعر السياسى فغلب عليه ما غلب على جيله من

الشعراء موضوع الصراع السياسى بين العرب والاستعمار ويفتقد الشاعر الشعور الاجتماعى والمعالجة للموضوعات الاجتماعية فهو فى شعره بعيد عن العالم ملتف حول نفسه، ينظر من حين الى حين الى البيئة التى يعيش فيها ويواكب مشاكلها فانى اختلف مع الأستاذ صاحب كمر فى كتابه «الرؤية الشعرية» في تفسيره لشعر يوسف عز الدين

فقد حاول المؤلف ان يفسر شخصية الشاعر يوسف عز الدين تفسيرا جديدا من حيث تناوله غرض «الغزل» في شعره .

فقد عرض السيد صاحب رايا جديدا انتهى فيه الى ان شعر الغزل عند يوسف لا يمكن ان يتوجه الى المرأة ، وانما احاله الى رمز للارض التى انبتته واحتضنته .

الرأي قد يصدق على قسم من النماذج الشعرية في شعر الشاعر وقد يصدق ايضا على كل شاعر آخر وليس الامر قاعدة خاصة بشعر الدكتور يوسف عز الدين كما اراه .

ولكن ماذا نفعل بالشعر الغزلي الصريح الذى تخصص باسماء نساء واضحات المعالم او اللواتى تركن وراءهن عطرهن وخصلهن فى القصيدة وعيونهن كعيون

المها مصورة فى ادب الشاعر ؟

أما المسألة الثانية التى حاول ان يعرضها لنا كـ..ـاتب الدراسة هى مسألة الالتزام فى شعر الشاعر . وهذا امـ..ـر بديهي فعصرنا عصر صراع سياسى بين الامم وشعر الشاعـ.. ان هو الا انعكاس لجيله وزمنه وعصره وكيف يمكـــن لانسان ان يحيا فى عصرنا دون ان يلتزم ؟

هاتان ملاحظتان تشيران الى ما فى الكتاب مـــن امتداد فكرى اعتمد عليهما المؤلف فى كتابة موضوعاته .

ارجو له الموفقية ، كي يساهم فى دراســات اخــرى خدمة للادب الحديث والمعاصر .

الدكتور داود سلوم
كلية الآداب ــ ١٩٧١

كلمـــــة ..!

ليس غريبا ان نقول انشعر الدكتور يوسف عزالدين ما هو الا غناء للمرأة التي يحبها ، وما هذه المرأة الا الارض معشوقته ، او ان الارض والمرأة كلاهما نداء الخيروالتفتح في قلبه فراح يرضع من خيرات ارضه ويتوســدها ويرنو اليها فتحتويه طفلا يافعا ترضعه وتســقيه فيمضى كالطير مغردا عازفا الحانه ملمحـــا بالشكوى او منفعلا بها باثا ما يعتمل في نفســه من اشواق واحزان يرسم رؤيته في هذا الجانب او ذاك ..

والامثلة في الشعر العربي الحديث تفصح عن نفسها للمتروي الباحث .. حتى في الشــعر الشعبي باتت الكلمة الشعرية تفسر نفسها او تعطي حيويتها بشكل رقيق متدفق، والشاعر حينذاك يعني ما يقول فعنـــدما يترقب الحبيب حبيبه ولا يفي بوعده يصفه بالغــادر مرة وبالكذاب مرة اخرى .. انما يعني ان الكذب جناية ومحنــة .. ثم يظل

الامل يراود النفس بالامان ، الصحو .. واذا تأملنا قصيدة « يا ريحان » لمظفر النواب ، يبدو عمق الشاعر واضحا في اشواقه فهو اذ يقول :

وردود اگلك يمتـــه ؟؟
اشگد رازقي ونيمتـــه
املني يـا اســـمر بيك ،
كـل عمري انگضـه واملته
حته خيالـك بالحلم
خـايف يجي وامنتـــه

. . . . .

حنيـة يـا چـذاب منك .. مـا شـفت
من ظني كظك بالحلم .. عنبر فحت
من ردت اجيسك جست روحي وفرفحت

. . . . .

شيضرك .. بكل الشته الولهان ، لو صحوة مطر ؟
والشته كله اتعده والگيظ هم أتعده
شجاب العشك ؟! وشوده ؟!
لا بالمحطة رف ضوه .. لا خط اجانه من البعد
لا ريل مر على الســـده

والشته شال شليله من يمنا عبر
واسألته عنك .. يا شته العشاك ..
مـا عنـدك خبر ؟
لك يا شته العشاك ما عنـدك خبر ؟؟
والگيظ اجانه وانگضه ورد انگضه
ورد گيظ اجـــه
والزلف هجرك فضضه ورد فضضه ،
ومـا مش رجـــه

أما الشاعر الشعبي شاكر السماوي فانه يتمثل هذه الصورة بشكل آخر فحنينه الى ارضه الى دنياه يتمثل في تلهفه الى حبيبته فهو يقول فى قصيدة «جيت اوجبت» :

من رفة جفون المحب
من ضحچة اتراب اللعب
من شهگه اسنين الجرح
من نسـمة ورود الصبح
جيت وجبت لاهل الملح
شوگ او فوانيس او جرح
جبت الگلب.. شايلني واللهفة تدولبني على طول الدرب
او كلما اذب اعله الدرب خطوه او أمل ..

يطول على شوگي الدرب
شانه المحب يستكبر افراگ المحب
جيت او جبت .. كل ذاك شوگي البيه ضحت
واللي على هروشه اسهرت وتمرمرت

. . . . .

تلك هي امثلة .. ويتمكن اي ناقـد ادبي مطلع ان يتتبع هذه الناحية في الشعر العراقي الحـديث وفي الشعر العربي ليستخلص منه هذا النحو للتوجه نحو رؤيا شعرية جديدة نرسم فيها حاجاتنا الانية والبعيدة ..

وعندي ملاحظة اخرى للقاريء فانني من دون انادري امتزجت عندي صورة الرؤيا الشعريةعند الشاعر معصورة الرؤيا الحياتية خاصة في القسم الاخير من الدراسة ، ذلك انني مزجت النثر بالشعر فتكـاثفت الصورتان في صورة واحـدة ..

صاحب كمر
آذار ١٩٧١

الفصل الاول

« ان الشعراء لا يقرضون الشعر
بدافع الحكمة بل بدافع من
عبقرية والهام . »

سقراط

المواجهـــة :

حين اندمجنا في التاريخ بعنف بـدأنا في طريق نحو حياة نستكمل فيها شأننا ، فلم يكن امامنـا سوى ان نضع ادبا وان نرى رؤية نعمل على تجسيدها بالمواقف الانسـانية الرائعة ، بالحب ، بالتضحية ، بالعمل .. بتسجيل المواقف الوطنية والارتفاع بمســـتوى الانسان ككل .. ومهما تصارعت الاتجاهات الادبية فانهـا تتمخض نحو استكمال النقص ..! أما كيف نواجه هذا النقص ..؟ هل نواجهـه بواقعية التفاوت بين الضعة والبطولة ؟.. فهذا حلم الفقراء

لحيـاة الامراء ..؟

أم ان الحوار والنماء هو الطريق نحو النظام الادبي الذي نريـد ؟..

ذلك تساؤل عام نريد به الوصول الى لون محدد من الادب الا وهو الشعر ..وليس الشعر بذاته ، بل الرؤيـة الشعرية للشاعر المتوجه نحو سفر طويل يوسف عزالدين .

ومهما اضطرمت الاشكال الشعرية في ايامنا هذه من تكابر وتفاوت ، من خروج وتمرد . غير انه ربما يطل علينا زمان نرى هذه الانواع الشعرية طريقا من الطرق الى نهضة شعرية وادبية صالحة للنماء والازدهار ..

أي انه كما يقول سـارتر : « ان الشر لا يمكن ان ينجي بنفسه » [1]

ومهما وضع هؤلاء الشعراء تبريراتهم لفوضى الشعر هذه فـان ذلك « ضروري لضوء النهار »[2] كمـا يقول سارتر ايضا .

---

١ ـ جون بول سارتر ـ ما الادب ـ ترجمة محمـد غنيمي هلال ص ٢٥١

٢ ـ نفس المصدر ص ٢٤٩

الشاعر امام الوعي

وهكذا حتى نأتي على شاعرنا .. الذي حافظ على البناء الشعري القديم ، مع تجديدات قليلة في القوالب الشعرية الا انه ظل في طريقته، البناء من اجل البناء، او كما يقول عنه انورالجندي « لان يبني بناء راسخ الامكان المستقبل العربي »[٣] « بل عليه ان يسير ليبني من جديد »[٤] كما يقول عنه انور الجندى ايضا ، وليس البناء من اجل الهدم كما في اتجاهاتنا الشعرية المعاصرة ..

غير ان النتيجة هي رؤية الشاعر وتأمله للحياة ، لعظمتها ومهزلتها .. يعيشها عن وعي وادراك ..!!

فما هي مواقفه ..وما هي وجهته ؟..

نقول ان الحيرة والقلق ، السمو والطموح !..

اجل الحيرة العظمى والحزن العميق !..

المبادىء الاولية التى تشارك الوعي كي تمنح الشاعر اشتراكه في الوجود !!

ولكن تظل الاماني تهفو وتظل الحياة تجري ،

٣،٤ ـ انور الجندى ادباء ومفكرون . دار الارشاد بيروت ١٩٦٧ ص ٢٩١ ـ ٢٩٢

ويظل الانسان مناجيا لها : حائرا منتظرا حدوثها واماني تدور !.. او كما يقول هو :

« سامرت احلامي فهل تتحقق ؟.. »

لكن براعم العطاء تنبثق ، وينابيع الزهو تتناوب !..

اين هي الحياة، اين هي الدنا!.. ايتها الربوات ..ايها الافق !.. ايتها الدنيا الخابية .. اين انا منك ؟.. اين جندك .. اين ثوارك .. الى اين مسيرتك !.. خذيني هناك ، احرقي روحي ، افتحي ضياء لظلامنا القمري البارد ، فاعماقي تغلي !.. ورؤياي تنطلق !..

وانفتح الافق !.. اهتزت بشائره .. وحاكى الشاعر نفسه هل استطيع ؟..

وتأمل مفاتيح الحياة ، وراودته الحيرة من جديد ، بدأت تصارعه ، فالابواب مغلقة ، روائح الصخب تثير الحواس ،غير ان عنفوان العمل يهز ، يقود الى هناك ..

ايتها الشواطىء الخضر .. ايها الانسان .. ايها الحب !.. كيف .. كيف !.. وانطلق يدمدم في حرقة ..

التجربة :

وكأني بالشاعر يقول : لا تقسوا .. لا تظلموا ..

وينطلق مغنيا بعد لهاث حاد :

غـــدا الاقي حبيبي واشـتكي اوصـــابي
واشرح الشـــــوق شعرا بهينمات عـذاب
فـلا تلمني اذا مـا بـاح الغرام بمـا بي
قـد ضاع عمري هباء وضـاع حلو الشبـاب
يـا نور طـابت حياتى بعد السـنين الكوابي

• • • • •

غـــــدا اغني حبيبي بأعـــذب الالحـان
واتشـــي من جمـــال تنشـه العيـــان
غـدا لقـــاء ربيعي وباسمات الامـــاني
انـا غريبـان لكن شرابنـــا من ســراب

• • • • •

اتـت وماســت جمـالا بحسنها وصبـاها
وكنت مثل نمير صفـا وطـاب ميـاهـا
والموج يغفو سعيدا من نسـمة وسراهـا
هـاج الغـدير هيـاما من بعدهـا ونواها
تجـاهلت مـا بقلبي ومـا درت بعـذابي

• • • • •

يـا قلبي رفقـا بشـوق الست ترحم حـالي
لا تـأمنن فتـــاة غرتـك بالاقبـــال

اياك والحب قلبي وآسرات الدلال
فليس في الغيد أمن من دون رشف رضاب

• • • • •

يا نور هذه جراح حبيسة في الفؤاد
هذا انين فؤاد جفاه حلو الرقاد
لا تغضبي ان تشكي فما له من رشاد
اياك يا ليل هذا صراخ جرح الفؤاد
غدا لديك رهينا رفقا بحق الشباب

• • • • •

ذلك شعر الشاعر ، تتجلى فيه الحيرة وتتوارد خواطره ورؤاه مبثوثة هنا وهناك .. والشاعر يعد نفسه، يمنيها .. النفس المحرومة ، المشحونة بالحزن الملتصقة التصاقا بجذورها الحقيقة .. فانت تراه يناجي الآمل والمنى مرة .. والسراب مرة اخرى .. ليس هذا وحسب وانما اسم محبوبته هو السراب بعينه :

« انا غريبان لكن شرابنا من سراب »

وفي مكان آخر يتمثل :

او ما تشجيك انغام الهوى يا سرابي قد كفاني المي
كلما جئتك اشكوك الجوى كنت في عينيك كالمتهم

او انه يقول :

يا الهـي طفـح الشـوق وجنـت صبواتي
أتناست ساعة اللقيا وطيب الذكريات ؟ !
فاذكريني (يا سـرابي) فعسـى تصفو حياتـي

« على ان هناك من الصور ما يخفي ادراك مضمو
الشعوري حين يعتمد تشكيـل الصورة علـى المخز
اللاشعوري لدى الشاعر • وفي هذه الحالة يكون م
الخطأ التعامل مـع الصورة علـى اساس دلالتها الظاه
المباشرة ، ويتحتم بذل المجهود لاستكناهها• » (٥)

فهو أذ يقول :

هل تعلمين •• ؟ أم تجهلين • من تلك ملهمتي الحنون
هي •• غنوة اللحـن الشـرود ولهفة الوجـد الحزين
هي •• ان جهلت محلها •• في القلب •• ما بين الجفو
هي كالنسيم العذب تعشقه قلوب الظامئين
هي جـدول مـن فتنـة
ينساب من ثغـر الفتون

---

٥ ــ دكتور عزالدين اسماعيل ــ التفسير النفسى للاد
دار المعرف بمصر ١٩٦٣ ص ٩٢

ي نشوة الحسن الوديع
يل رقتها الحنين ...

ومعنى ذلك ان الشاعر يحمل في ثنايا نفسه صورة
خرى من الحب والعواطف والالام والشاعر الاخرى
تى انه من دون ان يدري راح يتحامل على الفتيات في
صورة فتاته التي هجرته ، فيتوجس خيفة من مكرهن
خداعهن ، فهو كالمتنبي عندما قال :

من خبر الغواني فالغواني
ضاء في بواطنه ظلام

وقوله ايضا :

ولا تحسبن عهد الحسان مقدسا
فان فتاة العصر ليس لها عهد

لانه في قرارة روحه لا يستحق هذا البعاد ، وهو
ن الحب الواله .. بل انه ثمرة ذلك المجتمع الذي يؤمن
هذه الابعاد الحريص عليها .. لانه قديما احس الظمأ في
صحراء الحب وعاني من ضياع الامل والخوف من هجر
الحبيب ، الذي تترقبه العيون وتتفحصه .. فيندلع
مكبوتا عارما ، يتمنى اللقاء ويهفو نحو الذكريات :

عربد الشوق وجنت صبواتي
وتلظيت اسى من نزواتي

يترامى الشوق منهار المنى
نادبا نجواه بين الامنيات
يا هناءات فؤاد هائم
كنت في اللقيا ربيع السماء

ان اطيافك نجوى سمري
ونعيم سال من دنيا حياتي
جئت اشكو من جراحات النوى
عازفا لحني بآهات الوتر
فاملئيها غصصا الحانا واعصفى
فى قلب صب ما غدر

واغرقى فى ذوب لحن ساحر
فجريح القلب بالشوق انفجر
لحنك النشوان ينبوع الصبا
فى جديب العمر لحن الشفق
باحت النجوى بحلم واله
فى فؤاد بالاماني مغرق
وغدت انفاسه ضاحكة
بعد أن عاش بحزن مطبق

فاحفظي كأس الهوى فارغة
فعسى ليلاى يوما نلتقى

بهذا النحو يشكو ، يتألم ، بل يبوح بما تجود به نفسه فينشر خيالاته ويؤكد انفعالاته .. وبذلك فانه يفصح في مقدمة رحلته قائلا :

« نموت وانا اعتمد على نفسى كل الاعتماد منذ سني الثامنة ، وفيها علمت معنى الالم وفهمت الهموم والاحزان .. وقد صنعت تاريخ حياتي بيدى كدا ، وحفرت مستقبلي في الصخور دون عون من قريب أو مساعفة من صديق وانا اشعر بالرضا والغبطة لاني لم أترك انسانا يمن علي ماديا او معنويا ، سوى اساتذة العلم وقادة الادب والفكر ورعاية والدى ـ رحمه الله ـ وجه لي » (٦)

انه يواجه الحياة بالرغم من الهموم والاحزان :

انا لم اسأل الحياة هموما
فعلام الهموم تملا حياتي

انها مواجهة ملهمة ، وتولع رائع ، بل رسوخ ثابت

---

٦ ـ يوسف عزالدين . من رحلة الحياة . منشورات دار البصرى ١٩٦٩ ص ٤ـ٥

بهذه الارض المعطاء ومحاولة منه لاحتواء العوالم الكلية وتجسيد الرؤى الانسانية بشكل مفرح ومؤلم في آن واحد .. « ان غنى الشعر ليس على قدر غموضه كما يرى هؤلاء الذين لا يميزون بين العمق والغموض غير أن الغنى والغموض يتولدان من كثافة التجربة الحية التى يريد الشاعر ان يعقلها عبر وعيه » (٧)

فنتج صراع بين الذاتية والموضوعية ، بين القديم والحديث ، بين الماضى والحاضر .. بل من الممكن ان يكون هذا الاتجاه بعيدا كل البعد عن السمو والارتفاع .. فالذين اشاروا الى المأساة هم الذين تمثلوها ، ومن ثم هزلوا بافتخار ! ...

أما مواجهة شاعرنا للحياة ورؤياه فهي الصدق هي الآمال التي تراوده أن يعتبر شيئا في صحراء الضياع والتيه .وقد أحس بهذه الغربة وهو بعد في دور المراهقة ، حيث يقول « ودخلت متاهة الضليل فى بيداء الفاقة الروحية باحثا عن نسمات حنان واطياف عطف لاسد بها جوع الروح وسغب الاحساس . » (٨)

---

٧ ــ مجلة شعر بيروت العدد ١ شتاء ١٩٥٧ ص ٩٠

٨ ــ من رحلة الحياة ص ٥

انه تائه مجروح في بيداء عقيمة خالية من كل دفء وخصب .. غير انه تمكن ان يدير عجلة أيامه فيجعل من نفسه انسانا في التاريخ ومن أجل التاريخ، اذ يرينا صورا متتابعة وافكارا متلاحقة .. فتنجلي شخصيته هنا وهناك وكأن ميكانيزم ما أثر فيه فجعله يرنو الى هذه الناحية او تلك منطلقا من أرضية فكرية يستوحى فيها دنياه التي هي حبيبته آنا ومآربه واحلامه آنا اخر .. ومن يقرأ حسناء من أبردين تتمثل له هذه الصور والانطلاقات والمعاني :

ان أيامي الحبيبة كانت
لذة الحب في هوى مفتون
يوم كانت بعاتقي تتدلى
بدلال وغبطة وجنون
غضت الطرف ثم قالت : حبيبي
يا منى النفس يا حنين الحنين
انت في الحلم والحياة سميري
وأمان لقلبي المجنون
واري طيفك الحبيب يغني
كل يوم بساحرات اللحون

. . . . . .

!يا اهوى بـلادك السحر فيهـا
يتجلـى بقلبـي الوانهـاد
والعذارى يمسن في ضحكة البدر
ويخطـرن من هـوى الندمان
يا حبيبي خـذني اليهـا فانـي
سوف اشدو باعـذب الالحـان
وسـأغدوا علـى الرمـال كئيبـا
تتغنـى بـه شـفاه الامانـي

. . . . . .

ضمني للحريـم سـلطان قلبـي
لست اخشى بالشرق سجن الحريم
اولسنا مع النجـوم سكـارى
وانـا فى ركـاب خـدن كـريم
يا حبيبي الى صحـاراك خـذني
ثـم ذرنـي وحيـدة للنجـوم
سوف اشدو للشرق اجمل لحـن
عبقـري الـروي والتهويـم

انه لا ينفك مرتبط شديد الارتباط بماضيه حتى :ـ

فتاته تنطلق معه تتحمل الامه وعذاباته .. فلنأخذها الى اي مكان يشاء فهي لا تخشى سجن الحريم ! .. فالشاعر اعطانا صورة واضحة عن نظرة الغرب الى الشرق .. ومن ثم انطلق يروي الصور الاخرى عن بلاد السحر والجمال .. بلاد الف ليلة وليلة .. ومن ذلك فان هذه الحبيبة الغريبة ترضى به صديقا كريما .. وانها سوف تشدو للشرق اجمل لحن . ومع انه يعطي فكرة المزاوجة الحضارية ، الا انه في الحالتين ذلك الذي يعشق هذه الارض ويهيم بها .. ويذكر ماضى امته وازدهارها فعشق فيها كل شيء في صورة المرأة .

الغربة :

انه ما اغترب الا ليشدو ذلك اللحن الذي يريد .. عانى الاغتراب من اجل ان يعود للارض خصبها ! .. ومهما تكن الغربة فانها مؤلمة تشد الانسان للعودة .. حدثني صديق يصف غربته ، عندما وقف على نهر الدانوب يتأمله وكأنه دجلة .. نزل اليه وضع يديه فيه ، لعب كالطفل بين امواجه ، خاطبه : أنت نهر العطاء ! .. اذا كنت دجلة فاين اهلك .. اين بساتهم .. اين انامنهم !.. اين نخيلك الباسقات .. لا لست انت ..

يقول : ثم خرجت عابسا متألما اكاد اختنق من الالم على اثرها ابتسمت له فتاة فاخذها واختفى .. أما الشاعر فهو الآخر صور وقفته على الدانوب وعنى رؤاه الشعريه :

يا حبيبي علام قد غبت عني
مرة نلتقي على الدانوب
وتغني بصوتك الحلو لحنا
واغنيك بالقصيد الطروب
وحدنا نملأ الحياة ابتهاجا
كالسكارى تتيه بين الدروب
بضحك القلب والحياة تغني
وتهيم الامواج مصطفقات
موجة غبطة تعانق اخرى
وتذوب الامواج بالقبلات
قد تركنا همومنا وأسانا
وولدنا لساعة في الحياة

اما نداؤه واكتشافه لقنوط العالم وغربته فيه فيتجلى في انشاده حب وطنه العميق وتعلقه بكل مظاهر الحياة فيه وليس اجمل من النخيل والمياه :

يا لنـــدن طال الفـراق وليلـه
يا ويـــح ساعات التفـرق لندن
قلب على سعف النخيـل مرفرف
ويهزني نحـــو النخيـل الموطن

. . . . . .

حييت يـا وطنـي العزيز تحيـة
انا ذلـك الصب الغريب المـؤمن

اما تبريره لهذه الغربة فيقول :

وما عن هوى قد جئت لندن طالبا
ولكن قومي يستزيدون في الذكر
يقولون فيها كـل ما يطلب الفتى
من العلم والعرفان والفضل والفخر
ومن جـاء منها بالشهادة ظـافرا
هو العلم الهادى ولو جاء بالكفر
ولو انصفوني في بلادي لما رأت
عيوني هاتيك البقاع مدى الدهر

الفصل الثاني

الشاعر والالتزام

ثم نعود لنتساءل من جديد : هل ان الشاعر يوسف عزالدين عندما ينظم شعره يقصد فردا بالذات أم انه يتمثل صورا عديدة في نموذج واحد كما كان ارجوان الذى لم يكن فى شعره فردا من الافراد ، حتى الزا رفيقة عمره كانت صورة اخرى لوطنه .. ؟ أجل يبدو ذلك ايضا ، اذا تتدفق ذاتيته بغرام او شوق او حنين او وطنية فان ذلك يعطي بالتالي مسحة شاملة لما هو موضوعي وملتزم .. فسرابه وليلاه، وشهرزاده ،واحسانه وتيناه ، وبالتالي حواره مع مي ، وحديثه الى الدانوب ، وترانيمه كلها ما هي الا نداء داخلي وحث منسق من اجل ان ينتشر الضياء وتعم الفرحة ..

وما حديثه مع شهرزاد الا نداء آخر وعشق مفتون لارض العربية الكبيرة وآماله العريضة :

لا تلومي شهريارا في الهوى
لم يجد في حبه من ناصر
وارفقي في شاعر تؤلمه
ذكريات ما مشت في خاطر
قتلت انغامه غادرة
واماتت أمنيات الشاعر
وسقته كأسها طافحة
وتلظت بالزعاف الغادر
قلبه الشرقي ما اخضعه
لغرام في الاماني فاجر

تلك حكايته يسطرها او ينشدها .. فلم يجد له من ناصر .. فانغامه تريد قتلها غادرة لتميت امنياته الطالعة ، فتحول دون تحقيقها ، غير انه يستمر بلهاث حاد ليبرر التزامه الشعري بمضمون آخر حيث يتأمل خرائب الزهراء فيبدد حضوره صمت السنين الخوالي فتنطلق ترنيمته :

من خطاه مجفلات جاءني يسعى غريبا
بدد الصمت الرهيبا !

لم يدر دهري حبيبا
من أتاني بعد أن صرت ركاما وحجارة ؟
عبثت أيدي زمان غارة ، اتبع غاره
حاسد يبغض رمزا كان في الحب مناره

◎ ◎ ◎

كنت رمز الامل العذب وهمسات الامانى
جبل القدس شموخا ملأ الدنيا حناني
قد غرسنا لهم الحب بانغام حواني
فسقونا غصص البغض بتدمير الحياة
من أتاني زائرا بدد صمت الحسرات ؟!
ثم انه يستمر :
انا لو استطع قد سرت على الاجفان من شوقى العميق
وزرعت الحب أزهارا على طول الطريق
ابيض السحر كنور اللوز كالثلج الحقيقي
هكذا الحب اذا ما كان من قلب صدوق
خالدا مثل خلودك
ساحرا سحر نشيدك
ويتضح التزامه ايضا في قصيدة غرناطة :

غرناطة التاريخ ذا شجن
نحيى يديك فادمعي غزر
ولأليء الاحباب ان نشرت
ما ما زهـا الياقوت والدر
وصحائف التاريخ قد خجلت
مذ ضاع منا المجد والفخر

انه يبغى القصد ويسعى اليه .. باسلوب الغزل او باسلوب التفجع والغربة وشحذ الهمم مرة اخرى انه يواصل المسيرة بالرغم من كل العقبات .. ليرى فى حضارة زاهية وقومه يحاولون ان يعيدوا للدنيا اصالتها وبهجتها .. ! ..

ان هذه الشكاة والآلام والصور ذكرى حبيبة من ذكريات امته رسمها الشاعر وتوله بها .

المراة والارض :

أما ركضه وراء المرأة وتعلقه بها تعلقا شديدا بلهفة ما بعدها لهفة .. ومن ثم خوفه من خياتتها وغدرها .

ان ذلك له تبريره ، فالحرمان من الحب ، بالقصد بين المرأة والرجل احدهما يهفو نحو الآخر ، فيرى الحبيب من حبيبته ، من أن يستطيع آخر باسلوب جه

ن يغرر بحبيبته فيصل الى قلبهـا .. فتنطلق الظنـون
الشكوك مما حدا بالشاعر أن ينطلق هذا المنطلق :

فذر الذكرى فذكراهـا سـراب
واكتم الدمـع ككتمان الشـعور
ليس حفظ العهد من طبع الكعاب
انمـا غـدر وصـد وغـرور

اما تغنيه بحنان المرأة ولهفته اليها لتحيطه وتسعده هو الحاجة الى الحب والحنان فهو يوضح «ما ارتويت من حنان الابوين اذ كنت ابتعد عنهما لاكمال دراستي طفلا ولم اقض معهما غير سنين محدودة ، كنت اركض وراءهما فى قرى ديالى فعشت مضطرب الروح.[٩]

هذا يعني انه اتخذ المرأة طلالا طيبا ومرفأ يقف عنده ذابا عن تعبه وعنائه.. وهو ما يريده الرجل الواعي من المرأة، أن تكون انفتاحا مثمرا وشمسا مشرقة ودفئا لذيذا بل منحة طيبة .. فالنساء هن اللائي يمسحن عناء الرجال ، لا أن يكن سببا في الهزيمة والاندحار وتلك هى المنحة السيئة.. ولكن هل يبدو ذلك صحيحا عندما يحدثنا بيتهوفن بهذا

---

[٩] ـ من رحلة الحياة ص ٤

المعنى: «الحب ليس غير الحب، هو وحده الذى يستطيع أن يجعل حياتك سعيدة ، آه يا الهي ، دعني أجدها اخيرا ، تلك التى فى مقدورها أن تدعم فضائلي ، تلك التى سمح لي أن تكون زوجتى » ..

أجل من الممكن ان يكون ذلك صحيحا ... غير أن الشاعر يعطينا صورا عديدة من الفتات .. اما عن فتاة احلامه ، عن مرفأه الذى وقف عنده ؟ .. فيبدو ذلك من أن جميع النساء اللائي تودد اليهن وتوسد صدورهن ، لم يكن الا رمز لتلك الارض التى يعشقها ويهيم بها .. يسعى لاجلها .. ! فصوره الشعرية اذن ما هى الا احلامه وامانيه ، فى خلقه محيطا من القداسة واعطائه معنى لكلماته فلا يعرف قيمة الكلمة اكثر من الشاعر !..

اما الدكتور داود سلوم فقد اعطى بعدا آخر لهذا الحب اذ يقول «فحبه اي حب يوسف عز الدين ـ موزع بين حبه لهذه الارض التى انبتته واخرجته اخراجا طيبا وانضجت بشمسها وهوائها وترابها احساسه وشعوره فعبدها وبين حواء التى حنت عليه واطعمته عسل اللذة

مرارة الذكرى والم الفراق»[١٠] وهذا يعنى ان الدكتور
ود سلوم فرق بين حبه للارض وبين حبه للمرأة وبذلك
تعد تفسيره عن تفسيرى !!

وان اتفقنا فى الاساس الذهنى فاختلفنا فى التفسير
لفظـــي .

لـــلاذ :

ان الشاعر يعـانى رحلـة مستمرة .. انـه نموذج
لانسان العراقى او العربى .. لكن رحلتـه بلا مرسـى
نه يفتش عن الحل ، انها رحلة الغريب والاصرار علـى
عودة ، ثم «يعيش قضايا امته فى فترتها الثورية التقدمية
زاهنة»[١١] انه التجوال فى القاهرة والاسكندريـــه
ولندن للدراسة ، والسفر الى فرنسا وهولندة وبلجيك
والنمسا ويوغسلافيا وبلغاريا واليونان وسويسرا وايطاليا
والمانيا وتركيا وروسيا للزيارة والاطلاع ومعرفة التـراث
الثقافى العربى والعالمى .. ليغنى الادب العربى وليظهـر

---

١٠ ــ د . داود سلوم ــ الادب المعاصر فى العـراق مطبعة
المعارف بغداد ١٩٦٢ ص ٢٠٣

١١ ــ خضر عباس الصالحـي ٣١ شاعرية يوسف عزالدين
مطبعة اسعد بغداد ١٩٦٣ ص ٣١

بمقدار اهمية الامة التى تنتجه . انه دائما ينشد الرحيل
ينهل صوره ويكتب اشعاره من اي دنيا ليكون ذكر
. تجربه «ان مهمته هى أن ينبهنا لحركة الوجود التى
التقطتها القصدة . » (١٢)

ولكن الى اين الرحيل بعد ذلك .. ؟؟ انه التفتيش
عن اللغز المنقود ، عن الحب الذى يرومه .. الحب الذى
فتش عنه توفيق الحكيم وقال فيه :

« انى احب الحب ... ربما كان الحب هو الشيء
الوحيد الجميل الذى نعيش فيه ومن اجله نحن البشر .
آه لو كان القدر اعطاني هذه المنحة لحظة واحدة !
وجعلنى أجد احدا يحبني حقيقة مرة واحدة .. انا الذى
اعتقد طويلا أن عظماء الرجال هم عظماء العواطف واقوياء
الرجال اقوياء العواطف .» (١٣)

فهل وجد شاعرنا من يحبه من يعيد تنظيم حواسه
ليدفعه نحو العالم بشكل قوى ورائع ..؟..
وهل ظفر بتحقيق احلام امته ؟ غير اننا نسكت عن

١٢ــ مجلة شعر العدد ١ شتاء ١٩٥٧
١٣ ــ توفيق الحكيم ــ زهرة العمر ص ٣٩ (كتاب الهلال

ـواب ـ فقد اعطينا ما تمكنا عليه فى هذه الناحية ـ
ـود فنرى كيف يترجم هذا الشاعر احساساته الشعرية
ـواجهة ملهمة ودفاع عن سأم موروث عازفا ليالى السهر
ـاهات :

كنت ارنو الى الليالى كئيبا
فاراها تفيض بالاجرام
فبدت ظلمة الليالي حبورا
مذ تعطفت فى لقا المستهام
والى صدرك الحنون خذيني
حطمتني معاول الايام
وامسحي رأسي المشوق برفق
سوف تشفي يداك كل السقام

ذلك هو الشوق الى الحنو والاحتواء .. فكيف
الشاعر الفنان ذي الطبع المرهف ؟ انه يطلب المزيد ...
ـلب دلالا اكثر وحنوا اوسع .. فما الرجل فى هذا
ـمر الا طفل كبير وقد تمثل هذه الصورة ايضا شاعرنا
ـجواهرى فيما بين العشرينات والثلاثينات نختار بعضا
ـنها فهى صورة اخرى من صور الشاعر الملتهبة :

ـ ابسمي لي تبسم حياتى وان كان حياة مليئة بالشجون

انصفيني تكفري عن ذنوب الناس طرا فانهم ظلموني
اعطفي على شاعر حر رقيق يعيش عيش السجين
اخذتني الهموم الا قليلا ادركيني ومن يديها خذيني

• • • • • •

وافتحي لي الحديث تستملحي

• • • • • •

احمليني كالطفل بين ذراعيك احتضانا ومثله دلليني
واذا ما سئلت عني فقولي ليس بدعاً اغاثة المسكين
لست أماً لكن بامثال هذا شاءت الامهات ان تبتليني

• • • • • •

غير ان شاعرنا بعد ذلك يبدو خائفا غير مطمئن لانه لا يج
في الحياة مأمناً ومأوى فهل يوجد ظمان في مكان آخ
اكثر احتواء ... الا انه يتألم فيتوجس خيفة :

انا ان اخفيت جراحاتى ولم
اتشك الالم المضني الحزين
خشية أن تقتليني بالنوى
فاقضى العمر ما بين الشجون

ومن ثم لا يتمكن أن يخفي جراحاته فيهيم شوقاً

ى انهار وطنه وعيون أمته فيكني ويرمز بقوله :

أنـــا ظمـــآن لعينيـــك فـــلا
تشتكي ان بحث بالوجـــد الدفين
لا تلومي كلمـــا امعنـــت فـــي
فتنـــة الطلعـــة او سحر العيـــون

ثم يظل ذلك الحائر المقضى عليه بالحيرة والتساؤل
فما ذا يفعل وهو المفتون المتعجب ، انه يريد اكثر .
ينهل من هنا ومن هناك ، يريد ترنيما تجرى النشوة منـــه
فى دمه الا انه يظل هو المتهم فى النهاية :

كلما جئتك اشـــكوك الجـــوى
كنت فـــي عينيـــك ... كالمتهم
انـــا غـــريدك بحـــت غنـــوتي
كيف اشكو بانفـــراد مؤلـــم

انها الرؤية الشابة والرفض الصارخ في آن واحد .
لمن يبث اشواقه ؟ .. للمرأة التى رسم فى كيانه عنها
الصور المعبـــرة والاحاسيس الملونة .. انهـــا روح كبيرة
ومرسى جميل .. انها دنيا واسعة وحنان ثر !! انها منحـــة
خالدة قبل أن تكون جسما ولذة ...

غير انها لا تعترف بصدقه هذا .. لا توليه ثقتها ..

فتتهمه .. وانها تصبح بالتالى غير كفوءة لحبه الكبير .. ولكنه بالاخير لا يستطيع ان يشدو ويغني بدونها ..

الا انه يظل ذلك الحائر الذى يريد أن يرحل الى حيث يجد مأمنه ومرتعه ، فيناجى ربة الشعر علها تنقذه .. عله يجد فى الشعر مفتاحا لهذه الحيرة المضطربة ، فيفصح عن جهاده وعزيمته مرددا :

اسعدينى ياربة الشعر أما
تعبت عزمتى وكلت جهودى
فلكم بات في الحياة ، وحيدا
من تحدى الحياة ، غير وحيد

ومن ثم يرنو الى وطنه الذى غادره ليعود اليه خالصا الا أن المشكلة جابهته من جديد .. الظلم والاستغلال ، انتهاك الحرمات واللعب بمقدرات الشعب، انه نداء ، يكشف ، يطالب :

كيف ننسى الكفاح من اجل مجد
كيف نرضى بذلة استعمار ..!!

اويقول وهو فى وسط الحضارة الغربية وترفها .

حييت يا وطني العزيز تحية
انا ذلك الصب الغريب الموءمن

لم يلهني عنك التمدن لحظة
كلا فانت العالم المتمدن
ان لم تكن للحر اكرم موئل
فعلى ثراك الحر موت يكمن

ويصف ما حاق بالامة العربية من تفرق الكلمة ويريد عيما يلم شملهم :

ما بال يعرب قد تشتت شملهم
هذا التفرق بين قومى مزمن
اوما تشوقهم المفاخر جمة
فيجيء منهم مصلح متدين

وينظر الى حال العرب فيذوب ألماً وحزنا على ارض بلاده .

ايه بلادى ان شعرى بالاسى
والحزن والدمع الغزير مدون
آلامك الحرى تنوح جريحة
لكن ارضى للبطولة مسكن

ويطالب بكل صراحة ووضوح بالثورة على الذل

ثوري على هذا الهوان بعزمة
فالموت فى ساح المفاخر اهون

ويهدد الاستعمار الجاثم على الارض العربية عندما يخاطب ثوار الجزائر :

قسما بثورتكم وثورتكم سنى
للنصر فى الليل الطويل المظلم
انا واياكم فؤاد واحد
والويل للمستعمر المتحكم
انا اذا شخبت دماء جريحكم
لباه كل بنى العروبة بالدم
وانين رنات القيود سواجع
سمر السجين بكل حب مظلم
حفظ الحقوق وصان حق بلاده
من صان حق بلاده لم يندم

ويخاطب الوطن العربى عندما يخاطب النيل :

رمعمر فما يجدى الركوع
امام اقدام الصنم
حطم بثورتك القيود
وسر بركب السائرين
سخرت بذلتك العبيد
وبك استهان الماكرون

وقد ثار على حالة المجتمع العراقي المتردية ورسم صورة لاسرة فقيرة معدمة فقال :

هدها البؤس والشقاء فكانت
منظرا للشقاء والتنكيد
وصغير من سكرة الجوع امسى
يرسل الصوت فى الفضاء البعيد
ومسن قد سار في العمر حتى
صيرته السنون رهن القعود
وعجوز تئن جوعاً وبنت
تتلوى من العناء المبيد
ايها الاغنياء عفوا اذا ما قلت
للارض ايها الارض ميدى

انها بداية الرفض والاجتماع على التفاوت الطبقي بين الفقراء والاغنياء .

الفصل الثالث

ميـــزة التجـــديد

ان الشاعر يوسف عز الدين يستمر على هذا المنوال بالحس الموسيقى الشعري يعيش القصيدة بشكلها المعتاد يستثير العاطفة ويشحذ الخيال ، بشكل فنى متماســـك خالٍ من الانفعال الكاذب ومن الحزن والبكاء ..

ولكن محاكمة صوره الشعرية يكشف لنا مـــدى تعلقه بالنهج القديم وتطلعه نحو الحديث .. وهذا لا يعني ان الشعر القديم باوزانه وقوافيه قد استنفد مهمتـــه الاساسية ولابد للشعراء أن يبدأوا بشيء جديد آخـــر ، وان الجديد هو هذه الموجة الشعرية الجديـــدة .. التـــى تبدو غريبة تقريبا او مبهمة ..؟

لا يبدو ان ذلك مطلق «وميزة التجديد التى يذهب الناس فى البحث عنها ليست فى الجدة ولكنها فى الصدق. »(١٤)

ذلك هو رأي كبار النقاد والادباء.. ولكن التساؤل الذى يدور ، أن الشاعر الذى جاب الاقطار وعبر البحار ورأى من الدنيا ما شاء له ان يرى ، قرأ الشعر العالمى بلغة اصحابه ... ترى هل جاء بجديد ، هل اصطرعت عواطفه الجياشة ، فخلعت القديم وآذنت بالحديث !! هل أن الغريب الذى عاني الغربة وتحمل مرارتها ، ثم الفها بدافع كبير ، حاول ان يزخ على عالمه ما يكفي لانبات حقل من الشعر الجديد قد يكون مبهماً فى ناحية مفهوما في النواحي الاخرى .. فتبدو شخصيته في رمز او صورة تعيش وراءها تلك النفسية وهي تتساوق فى خضم عات او موج هادىء ولكن تساؤلنا يستمر هل أن القصيدة كما تبدو أم أن هناك شيئا يتخللها ..؟ وهذا ما اجبنا عنه فى مكان سابق .. ومن ثم فان ميزة الشعر ان يكون صادقا و «ان من واجب الشاعر أن يخلقه جديدا ، وان يخلقه

١٤ـ احمد امين ـ النقد الادبى ط ٣ مكتبة النهضة المصرية القاهرة ١٩٦٣ ص ٩٤

غريبـــاه»[١٥]

وهذا لا يعنى ان الشاعر لم يشارك فى الحركـــة الشعرية الجديدة .. ولكن الذى يبدو انه كان من الاوائل فى هذا التجديد بالابتعاد قليلا عن المألوف الشـــعرى التقليدى ، يبدو ذلك فى قصائده : من انت ، الحلم فات، وقصيدة ايها النيل ، وهمسة الذكريات ، وقصيدة الاوتار الرعشاء التى تعود الى سنة ١٩٥٣ حيث يقول فيها :

انـــا ... !

من انـــا ...؟!

لا تسأليني من أنا ؟

قد كنت مثل الحب مثل شبابنا

الشعر يشدو غنوتى

نغما يموج بحبنا

انا همسة الاحزان وقعها الدفين

وعلى رنين الحزن

فى افق السحابة سرنا ..

هنا يتساءل الشاعر وليس بدافع حكمة ، بل بالهام

١٥ـ احسان عباس ـ نقد الشعر ـ دار الثقافة ـ بيروت ط ٣ ص ١١٩

شعرى صادق .. بدافع الامتزاج والوعى .. وهكذا تنمو قصيدته ثم تكبر لتوءدى رسالتها او روءيتها أزاء الحيـاة الانسـانية .

اي انه يحاول ان ينطلق ليخلف جوا من الحـب والتألف اينما مر واينما نزل ..

وتروح قصائده بعضها يأخذ قالبا تفسيريا وتقريريـا وبعضها الآخـر ينمو بشكل رائع ينشـر الطيـب وينـث النسمات او يدفع الحياة نحو عنفوان جديد ..

ومن مميزات شعره ايضا والتى اشار اليها كل مـن مصطفى السحرتى وهلال ناجى ، الاقصوصة فى الشـعر «او لاقل أن الاقصوصة الشعرية عند شاعرنا هى قصـة مكتملة العناصر متماسكة الاجزاء ..»(١٦)

ومن اقاصيصه الشعرية على هذا الشكل «زاهيه من هامبورغ » و (حسناء من ابردين) و(انكليزية سـكرى!) وغيرهـا ....

وليس ذنب الشاعر اذا ما فاته هذا الموج الشـعرى

١٦ــ مصطفى السحرتى ، هلال ناجى ــ شعراء معاصرون دار الكرنك للنشر والطبع والتوزيع القاهرة ١٩٦٢ ص ١٩٤

ت تجاربه فيه انما السر يكمن فى طموحه الى ان يخرق
حواجز ، وينطلق من ظلمات العصور لتنجاب الدنيا
ضحة كبيرة ..

ذلك أن طموحه وانفتاحه نحو الحياة كبل الشاعر من
يضيف لعالمه الشعري تجاربا كثيرة ورؤية واسعة
لان انغماس الجامعين ـ كما يقول احمد امين ـ فى
بحوث يجعل ذوقهم اقرب الى العلم منه الى الادب.»[١٧]

غير انه أمن بالحب واتخذه فلسفة وراح يعوض به
فقده من حنان المجتمع وبر الحياة ، وله امثله كثيرة فى
ك .. ثم انه يقول على هذا الاساس :

« وما كرهت شيئا فى حياتى لان الكراهية مرض
تك بالنفوس ولا يحمل الحقد من تعلو به الرتب..»[١٨]

انه وجد نفسه اكبر من عمله كما يقول وهذا هو سر
نجاح فى نظرى عندما لا يشعر الانسان بالغرور ....

الموقف والاصالة :

يروى عن الشاعر أن احد تلامذته سأله : عن كيفية
داد دراسة عن تأثير الزهرة فى الشعر الحديث ، فاجابه

١ـ احمد امين ـ النقد الادبى ص ٧٦

١ـ من رحلة الحياة ص ١٠

على الفور :

اكتب دراسة عن تأثير البندقية فى الشعر الحديث ، فهي انفع لامتنا فى حالتها الحاضرة .

تلك هى نقلة سريعة عن روءيا الشاعر .. وذلك مثال او موقف ، بل التفاته موفقة على شدة تعلقه بوطنه .

ولكننى ربما استطيع ان اوضح بعض الملامح والاشارات ووجهات النظر .. ولكننى لم اشر الى نقد شعره من ناحية العروض والقوافي كما اشار الى ذلك الدكتور عبدالله درويش»[١٩] .. الذى قام بعملية احصائية من أن الشاعر يستعمل بحر الخفيف والرمل والكامل والطويل اكثر من بقية الابحر الشعرية ..

كما اننى لم اتعرض الى القافية او تنويع الروى واقسام القصيدة او فقراتها كما فعل الدكتور عبدالله درويش ايضا ..

ولكننى ذهبت مذهبا آخر ، عن تطلع الشاعر ، عن هواجسه .. ومهما كانت كمية شعره واسلوبه فانها

١٩ــ الدكتور عبدالله درويش ــ المضمون والاطار فى شعر يوسف عزالدين ١٩٦٧

بالتالى تلقى ضوء وتعطى جوابا ...

غير ان ذلك تراث الشاعر يرثه للاجيال .. ومع أن الموت هو المصير ، هو الشهادة النهائية ... غير اننا حري بنا أن نحتفل بروادنا على الدوام احياء فى دنياهم يقاسون ويعملون .. أم امواتا عند ربهم يذكرون .. أ وهو من دعاة هذا الاحتفال :

« التكريم يجب ان يحس به الاديب حقاً وليسعد به ، وليزداد انتاجاً وليواصل خدمة شعبه وتقويم مجتمعه، ورفع مستواه ... »[1]

ان ذلك ما ستقوله الايام ويحكيه الدهر قصة للاجيال ..

ومهما يكن شعر يوسف عز الدين اذا تفاوت بين الناقدين وتقبله للبعض ورفضه من قبل البعض الآخر فانه تصور لعالمه الحقيقي بقدرة موفقة صريحة وهو شاهد على ذلك العالم وظل استظل به الشاعر فدفع معاناته ، ودفع ضياعه بعيدا عن السقوط والانهزام والضجر ..

---

(١) مجلة الكتاب ١و٢/١٩٧٠ ص٣ مقال للشاعر .

وقد اعفانا الشاعر من أن نعايشه بالذات .. فعشنا قصائده وكأننا نحمل عذاباته وهمومه ونسوح مع دنيا اشواقه .. فهذه العواصف التى تجرى ، وهذه الانفعالات تغلي ، والهموم تتصاعد .. بل هذا الحب بكل ابعاده وسماته .. كل ذلك .. بشكل صارخ وعاصف .. عاصفته هى حياته ، ووعيه الذى يجسده هو صراعه الحاد ، ووجوده هو الشىء الذى يتشبث به ..

كل ذلك ينبثق من احزانه ، من متاعبه ، من صحراء ضياعه .. انه التفلسف المعلن، والرأي المطروح، والتمسك بما هو حتمى ، «فالشاعر يعطيك صورة روحانية اكثر مما يعطيكها التاريخ ، والشعراء عادة فى مقدمة قدمهم ، او فى جهتهم ، وقد يسبقونهم قليلا ، وهم عادة ايذان بالفلسفة وارهاص لها ، فهم يحدثوننا فى شىء ما الايهام عن حقائق الحياة .

فكان هو ميروس ارهاصا لسقراط وافلاطون وارسطو، وكان شعراء الجاهلية اوهاصا للنبوة»[٢٠] وهو بذلك ارهاص. فاذا كان الرصافى والزهاوى قد نقلا الشعر من القرن التاسع عشر الى العشرين فقد استمر شاعرنا ومهد بشكل من الاشكال

٢٠ــ النقد الادبى ص ٧٠

لشعر الحديث وللنهضة الادبية الحاضرة ..

ولهذا فاننى أميل ايضا الى رأي صالح جودت والذى سبقه الى ذلك احمد امين .. ومما يقوله صالح جودت «انه ـ اي يوسف عز الدين ـ شاعر غير متفرغ ، ولـ أن اسباب الحياة لانت له منذ صباه ولم تكلفه مشـقه الكدح من اجل الرغيف ، لكان نصيبنا من شعره اوفر من هذا القدر بكثير ...»[٢١]

ذلك ان الوظيفة تعوق وتكبح القابلية وتترك الاديب اسير الروتين .. فلو لم يصبح شاعرنا استاذا جامعيا لكان شاعرا كثير الانتاج متحملا اوزار شعره من حاجة وضياع.. على ان الفرصة انعمت عليه فاعفته من تلك المسوءوليـه الكبيرة ومنحته وجودا جديدا وارهاصا لدنيا جديدة فهو الشاعر والاستاذ والناقد .. بل من خلال ذلك كلـه ينوء بالاحزان يتسربل بها ، ويدفع هذا العناء الكبير بابتسامـة لدنه وترحيب عميق يدرأ بهما احزان العالم نحو فجر مضيء ودنيا عبقه .

ومهما تكن مجموعاته الشعرية فى قلتها فأنها حركـة

٢١ـ يوسف عزالدين ـ فى ضمير الزمن ط ٢ مطبعـة الرسالة ـ القاهرة ـ ١٩٧٠ ا لمقدمة ص ١٤

فى الوجود ورؤيا للزمن حيث بعزف الحانه مواكب المسيرة ..

غير انه بالتالى كما يقول مصطفى السحرتي :

« ويكفينا من الشاعر موهبته واصالته ..»(٣٢)

استنتاجات :

ليس من الممكن ان تعطي حكما قاطعا وتقييما حقيقيا للمجاميع الشعرية التى قدمها يوسف عز الدين .. لاننا نظرنا اليها من الناحية الرؤيوية .. اما اذا انبرى احد بالحكم القاطع فأن الموءلف يعرف مسبقا بأن النتيجة التى يأتى بها الناقد ليست حتمية باختلاف الاهداف والآراء .. واذا كان الشاعر قد قال الشعر واختار لنفسه موقفا فيه .. وانه اختار طريقا واحدا أن يقرأ للجميع وان لا يقلد احدا .. فهو وأن كان احدهم غير انه ظل بعيدا عنهم .

ومعنى ذلك فانه بات غريبا حتى على نفسه لمحاولته اكتشاف العمق الانسانى .. ومرة اخرى انه حقق موقفا منفصلا فى الشعر عندما باتت جهوده تستثمر الانفتاحات اخرى فراح خياله بعيدا عن مهمته الاساسية بسبب

٣٢ـ مجلة الكتاب ـ بغداد ـ العددان الثالث والرابع سنة ١٩٦٤ ص ١٥٠

هذه العمومية ..

ولكن ظل يسجل اللحظات التى تستملكه من اللذة والالم او الراحة والقلق والحزن والفرح .. لانها تثير فيه الدافع للحياة !..

أما ما هي الحياة التى يرنو نحوها ؟.. او بعبارة اخرى اى نوع من الحياة تفترض هذه الروءية الشعرية أن ينطلق من الاحزان ليعايش الافراح والسرور مرة والهموم والمصاعب مرات عديدة .. ام انه يركن للهدوء والاستقرار ؟

شعره تفوح منه النشوة، ولكنها نشوة قصيرة لذيذة.. وبالتالي تستمر الدوافع وتتكاثف . أما ابعاد الشاعر .. فانه مشترك فى عالمه بدأ بمجموعة (في ضمير الزمن الحقها بمجموعة الحان .. ومن ثم «لهاث الحياة» وكانت محتاراته .. «من رحلة الحياة..» كانتاج أخير ..

ولكن هذا لا يعنى أن رحلته تنتهي .. كما انه لا يمكن للانسان ان يقول جميع الاشياء التى يعرفها مرة واحدة .. ولهذا فلابد أن يستمر لاستحضار مفهوم للقيم التى بدأها ، وتكثيف خيالاته بالفلسفة التى يوءمن بها ، ويسعى نحوها ...

ان محاولته للاتفاق مع القيم الحياتية جاءت بشكل نفسي (سايكولوجي) منذ البداية بالرغم من معاناته للهموم والاحـــزان ..

فهو عندما يقول ابسم فانه يتصدى للمصاعب الكثيرة ولكنه يتجاوزها بهذا الحب والخيال نحو المستقبل. مجسدا روءيته بقوله : «هي أن يكون الانسان عادلا بعيدا عن الاثرة يحب لنفسه ما يحب لاخيه .»[٢٣] وقد تطرقنا الى مفهوم الحب عنده وادرجنا النماذج الشعرية الكثيرة .

واخيرا فان يوسف عزالدين شخصية عراقية ادبيه .. منهم من اعتبره شاعرا فألف عنه .. ومنهم من اعتبره مفكرا وناقدا ومؤرخا ، فكتب عنه .

نظم الشعر فاصاب فيه .. ولكنه لم يستمر فيه للنهاية بسبب انشغاله بالدراسات الادبية والنقدية والقضايا الفكرية، فهو استاذ فى الجامعة ورئيس لجمعيـــة الموءلفين والـــكتاب العراقين وعضو فى المجمع العلمى العراقى اضافة الى مؤلفاته الكثيرة التي احصاها الاستاذ كوركيس عواد فـــزادت على اثنين وثلاثين موءلفا [٢٤] .

٢٣ــ من رحلة الحياة ص ٩

٢٤ ــ كوركيس عواد ــ معجم الموءلفين العراقيين . المجلد الثالث ــ مطبعة الارشاد ١٩٦٩ ص ٤٨٠ ــ ٤٨٢

وبعد فانها دراسة سريعة مقتضبة لم يتطرق اليها باحث بهذا الشكل فقد ظن الكثيرون ان شعر الشاعر ليس الا عزلا مادياً بالمرأة نفسها وبجمالها ، ولكن الشاعر يمتلك ارادة وينتهك الغرابة بهذا اللون من الشعر فيمتص الالم والضجر بتغنيه بالمرأة وجمالها لانها صورة للوطن والتربه السمحة التي غذته ، وكيلايكون مكررا مملا انتقل من واحدة الى اخرى وكأنه يغني الصورة نفسها ، وهو بذلك حقق لنفسه هذا الكشف الذي استطاعه ومارس هذه العذوبة فاستساغها .

فاذا اعتبرنا غزله ماديا وحسيا صرفا ، فيجب ان نعتبر غزل ابن الفارض وابن عربي والحلاج غزلا ماديا .. بالرغم ان الرجل ليس فيلسوفا ولكن له فلسفته .. لانه يمتلك القيم والعطاءات التى تمنحه هذا المساهمة الجادة ..!

فاذا تألم من جفاء المرأة فانه احساس انساني يشكي فيه جفاء الوطن ، وان تعلق بجمال المرأة فأن جمالها جزء من جمال هذا الوطن الغالي ، وان احبها فانه يرنو بحبه نحو تربته .. واهتمام الانسان بكل هذه الاشياء معناه اهتمام بالنفس ، وهذا الاهتمام بالنتيجة يؤدي الى توحيد النفس والاستجابة للرؤى ...

وللشاعر جوانب اخرى أتمنى ان يعنى بها دارس آخر كالجانب الفكري والفلسفي والنقدي في مؤلفانه الاخرى .

مصـــادر البحث ..

ا ـ مجموعات الشـــاعر :

أ ـ في ضمير الزمن ط ٢ مطبعة الرســـالة .. القاهرة ١٩٧٠

٢ ـ الحان دار الطباعة الحديثة بالاسكندرية١٩٥٣

٣ ـ لهاث الحياة دار العلم للملايين بيروت

٤ ـ من رحلة الحياة ـ منشورات دار البصـري بغـداد ١٩٦٩

ب ـ المصـادر الاخرى :

١ ـ مجلة شعر العدد (١) شتاء ١٩٥٧ بيروت

٢ ـ دكتور عزالدين اسماعيل ـ التفسير النفسي للادب دار المعارف ـ القاهرة ـ مطبعة الانجلو مصرية القاهرة ط ١

٣ ـ الدكتور عبدالله درويش ـ المضمون والاطار في شعر يوسف عزالدين ١٩٦٧ بغداد .

٤ـ مجلة الكتاب العددان الثالث والرابع بغداد ٩٦٤
٥ ـ انور الجندي ـ مفكرون وادباء من خلال آثارهم
دار الارشاد ـ بيروت ـ ١٩٦٥
٦ ـ مصطفى السحرتى ، هلال ناجى ـ شعراء
معاصرون دار الكرنك القاهرة ١٩٦٢
٧ ـ احسان عباس ـ نقد الشعر ـ دار الثقافة
بيروت ط ٣
٨ ـ الدكتور داود سلوم تطور الفكرة والاسلوب
مطبعة المعارف ـ بغداد ١٩٥٥ .
٩ ـ الدكتور داود سلوم ـ الادب المعاصر فى
١٩٣٨ ـ ١٩٦٠ ـ مطبعة المعارف بغداد ١٩٦٢

رقم الايداع فى المكتبة الوطنية ببغداد ٣٣٦ لسنة ١٩٧١

محتويـات الكتـــاب

الموضوع	الصفحـة
تقديم الدكتور داود سلوم	٣
كلمـــة	٩
الفصـــل الاول :	١٣
المواجهة ـ الشاعر أمام الوعي ـ التجربة ـ الغربة ـ	
الفصـــل الثاني :	٣١
الشاعر والالتزام ـ المرأة والارض ـ	
الملاذ ـ	
الفصـــل الثالث :	٤٧
ميزة التجديد ـ الموقف والاصالة ـ	
استنتاجات	
مصادر البحث	٦٠
محتويات الكتاب	٦٢

كتب للمؤلف فى طريقها للنشر

١ ــ عمق العالم (مجموعة قصص)

٢ ــ رؤيا العصر (دراسات تحليلية ادبية)

٣ ــ المحــاويل (تاريــخ)

Yousif Izzidien

and his

poetical vision

by

Sahib Kumar

Yousif Izzidien

and his

poetical vision

by

Sahib Kumar

C/O
Iraq - Academy
Baghdad
بغداد - المجمع العلمي العراقي

COLUMBIA UNIVERSITY LIBRARIES
0036763195

PJ
7838
.Z9
Z74

OCT 17 1975

06467920

PJ -7838-.Z9-Z74